التحليل الصرفي والنحوي لميمة زهير بن أبي سلمى في الدعوة إلى السلم

أحمد ليمن

علي مالمي

Abstract: *Verily the Arabic poetry has a very great position among the ancient nations literature as well as the modern literature, because it is the best expresser about the feelings, is also the best describer for people`s emotions, is also the best motivator for the individual determinations and groups, is also the Arab Anthology which records their incidents and important issues, it`s importance sometimes is even beyond that as we can see from some poets who are engage in their period issues and their big problems, therefor, they tried to contribute and find solutions to those problems and spread peace and tranquility among their people. Among these poets we have Zuhair bn Abi Sulma who was alive during the war of Dahis and Gabra`u where he plays a very important role to call people to surrender from their war and come back to love and peace, where he versified his poem ending with meemun recommending Alharith bn Auf and Harim bn Sinan who entered into agreements with two Arabs tribes: Absu and Zubyan where they undertake and shouldered the blood of many of the victims killed in the war, where they paid three thousand camels in order to reach a reconciliation between the two groups. The paper is trying to concentrate on grammatical and morphological aspects of this poetry, because it played a very important role in understanding Arabic texts and getting it`s real meaning in order to express it`s great objectives, and also to commend the target of poetry in calling to the peace, stability and agreements.*

مقدمة:

إن للشعر العربي منزلة كبرى بين آداب الأمم القديمة، ومزية سامية بين الآداب الحديثة، لأنه أصدق معبّر عن الشعور، وأحسن مصور لنزعات النفوس، وأقوى حافز لعزائم الأفراد والجماعات، وهو ديوان العرب يسجل وقائعهم وأهم أحداثهم،

فإن مهمته كانت في كثير من الأحيان تتعدى ذلك على يد بعض الشعراء الذين كانت تشغلهم قضايا ومشاكل عصرهم الكبرى، فيحاولون الإسهام في حلها وبثّ الخير والطمأنينة. ومن هؤلاء الشاعر زهير بن أبي سلمى الذي عاصر حرب داحس والغبراء وكانت له مشاركة فعالة في دعوة القوم إلى التخلي عن الحرب والعودة إلى الود والسلام، حيث نظم قصيدة ميمية يمدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان لعقدهما الصلح بين قبيلتي عبس وذبيان وتحملهما ديات القتلى وكانت ثلاثة آلاف بعير، وتهدف هذه المقالة إلى التركيز على اللطائف النحوية والصرفية في هذه القصيدة، علما بأن لهذين الفنين دورا فعالا في فهم النصوص العربية وإدراك المعاني المرادة منها لتبرز ما لها من المزايا السامية، إشادة لمنارة هذه القصيدة وما تنطوي عليه من الدعوة إلى السلم والأمن والوئام. وستعالج المحاور التالية:

- المقدمة
- نبذة عن حياة الشاعر
- جو القصيدة
- عرض القصيدة
- اللطائف الصرفية في القصيدة
- اللطائف النحوية في القصيدة
- الخاتمة

- نبذة عن حياة الشاعر

هو زهير بن أبي سُلمى ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن وينتهي نسبه إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ولد في بلاد غطفان بنواحي المدينة المنورة وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد)، مات أبوه وهو صغير، فنشأ وترعرع يتيما في كنف خاله بشامة بن الغدير الذي أورثه شعره وماله وأخلاقه، كما أفاده زوج أمه أوس بن حجر الشاعر المشهور، وكان بنو عبد الله بن غطفان جيرانهم وكذلك بنو مرة من غطفان ومنهم تزوّج مرّتين، في الأولى تزوّج أم أوفى التي يذكرها في مطلع هذه القصيدة وبعد طلاقه إياها بسبب موت أولاده منها، اقترن بكبشة بنت عمّار الغطفانية ورزق منها بولديه الشاعرين كعب وبجير[i]. ولعلّ البارز في سيرة زهير وأخباره تأصّله في الشاعرية وهذا من الوجهة الأدبية طريف حقا إذلم يتصل الشعر في ولد أحد من فحول الشعراء ما اتصل في ولد زهير فقد ورث الشعر عن أبيه وخاله وزوج أمه أوس بن حجر. وله أختان هما الخنساء وسلمى وكانتا أيضاً شاعرتين. وأورث شاعريته لابنيه كعب وبجير، والعديد من أحفاده وأبناء حفدته. فمن أحفاده عقبة بن كعب بن زهير وسعيد الشاعران، ومن أبناء الحفدة الشعراء عمرو بن سعيد والعوّام ابنا عقبة[ii].

وكان زهير من المعمّرين، بلغ في بعض الروايات نحوا من مائة عام. فقد استنتج المؤرخون من شعره الذي قاله في ظروف حرب داحس والغبراء أنه ولد في سنة 530م وتوفي نحو 627م. قبل بعثة النبيّ عليه الصلاة والسلام بقليل من الزمن، وذكرت الكتب أن زهيراً قصّ قبل موته على ذويه رؤيا رآها في منامه تنبأ بها بظهور الإسلام وأنه قال لولده: "إني لا أشكّ أنه كائن من خبر السماء بعدي شيء. فإن كان فتمسّكوا به، وسارعوا إليه"

شاعريته:

وهو من أشهر شعراء العرب وحكيمهم في الجاهلية وأحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء وهم: امرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني. وإنما اختلف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه، وقال الذين فضّلوا زهيراً: هو أشعر أهل الجاهلية، روى هذا القول عكرمة عن أبيه جرير. وإلى مثل هذا الرأي ذهب العباس بن الأحنف حين سئل عن أشعر الشعراء، قال: زهير. قيل: وكيف ذاك. قال: ألقى على المادحين فضول الكلام وأخذ خالصه وصفوته، قيل: مثل ماذا؟ قال: مثل قوله:

فما يك من خير أتوه فإنه ** توارثه آباء آبائهم قبل[iii]

وكان عمر بن الخطاب ﷺ شديد الإعجاب بزهير، أكد هذا ابن عباس ﷺ إذ روي أن ابن الخطاب قال له: أنشدني لشاعر الشعراء، قلت: "ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: ابن أبي سُلمى، قلت: وبم صار كذلك؟ قال: لا يتبع حوشي الكلام ولا يعاظل في المنطق، ولا يقول إلا ما يعرف ولا يمتدح أحداً إلا بما فيه" [iv]. وأيّد هذا الرأي كثير من بينهم عثمان بن عفان، وعبد الملك بن مروان، وغيرهم، واتفقوا على أنّ زهيراً صاحب "أمدح بيت، وأصدق بيت، وأبين بيت" فالأمدح قوله:

تراه إذا ما جئته متهللا ** كأنك تعطيه الذي أنت سائله[v]

وأصدق بيت قوله:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ولو خالها تخفى على الناس تعلم

وأما أبين بيت فقوله يرسم حدود الحق:

يمينٌ أو نفارُ أو جلاءُ **** فإنّ الحقّ مقطعُه ثلاثُ

قال بعضهم معلّقاً على هذا البيت: لو أن زهيراً نظر في رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري ما زاد على قوله المشار إليه، حتى قيل إن عمر بن الخطاب قال: " لو أدركت زهيرا لوليته القضاء لحسن معرفته ودقة حكمه" [vi] ولعلّ محمد بن سلام الجمحي أحاط إحاطة حسنة بخصائص شاعرية زهير حين قال: "من قدّم زهيراً احتجّ بأنه كان أحسنهم شعراً وأبعدهم من سخف، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ، وأشدّهم مبالغة في المدح، وأكثرهم أمثالاً في شعره"[vii].

جو القصيدة

كل من تصفح صفحات تاريخ البشرية على وجه المعمورة فإنه يطلع على سجلاته المليئة بالوقائع والأحداث العديدة التي يحفل بها هذا التاريخ. وإذا كان الإنسان المعاصر لا يزال يعاني من آثار الحروب الطاحنة في مختلف الأنحاء باعتبارها أفظع ما عرف الإنسان من حروب، فإن الحروب القديمة لا تقل عنها فظاعة، وخذ على سبيل المثال حرب الداحس والغبراء (حرب السباق) التي دامت حوالي أربعين سنة بين عبس وذبيان، ولم يخل عصر من عصور التاريخ من رجال اشتهروا وخلدت أسماؤهم بسبب ما كانوا يقومون به ويدعون إليه من أعمال الخير، إلى جانب الأشرار الدعاة إلى الحرب الذين كان همهم تأجيج نار الفتنة والشحناء بين الطوائف ويسقط في أيديهم كل من هبّ داعيا إلى السلم. ويعتبر زهير بن أبي سلمى داعية من دعاة السلام والأمن في العصر الجاهلي ذلك العصر الذي سيطرت فيه الدعوة إلى الأخذ بالثأر، وأشعار كثير منهم تدوي بفكرة الحثّ على الأخذ بالثأر والترامي على الحروب ترامي الفَراش على النار، فإذا بزهير فاجأ مجتمعه بقصيدة تكاد تكون

شذوذًا على ذوق الجاهليين وقد جمع في هذه القصيدة خلاصة آرائه وتجاربه في الحياة ، حيث شارك بها مشاركة فعالة في دعوة القوم إلى التخلي عن الحرب والعودة إلى الودّ والسلام، مدح السيدين الحارث بن عوف وهرم بن سنان لعقدهما الصلح بين قبيلتي عبس وذبيان وتحملهما ديات القتلى وكانت نحو ثلاثة آلاف بعير.

والقصيدة قيلت على البحر الطويل في ستين بيتا قالها الشاعر عند ما تم الصلح بين القبيلتين، يثني فيها على المصلحَين لما قاما به من حقن دماء المتقاتلين محذّرا إياهم من إضمار الحقد والشحناء. وقد افتتح كلامه بالوقوف على الأطلال وآثار الديار جريا على عادة الشعراء الجاهليين، ثمّ انتقل بهدوء إلى مدح المصلحين الذي هو موضوعه الأساسي وامتزج بين مدح ونصح حيث حذر المتقاتلين من ويلات الحرب ومضى يصوره في صورة بشعة.

هذا، وكان الشاعر يستخدم مختلف الأساليب في هذه القصيدة ولم يقتصر على مدح السيدين وتصوير ما كان عليه القوم من التفاني بل إنه أضاف إلى ذلك تصوير الحرب في صور مخيفة وقبيحة؛ فهي تارة أسد ضار، ومرة أخرى نار مشتعلة، وحينا رحى تطحن الناس، كما صورها بأنها تلد ولكنها لا تلد إلا ذراري شؤم. ووسع التهكم؛ فقال إنهم يربحون منها ما لا يربحه أهل العراق من الغلال. وهو بذلك يدعو إلى السلام وأن يتحول العرب من هذه الحروب والمعارك الطاحنة إلى حياة السلم الآمنة التي تنتشر فيها الأخوة والمحبة والرحمة. ونراه يصور ما هم فيه من بوار تصويرًا بديعًا، وفي ذلك يقول:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ** وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها، تبعثوها ذميمة ** وتضر إذا ضريتموها فتضرم

فتعرككم عرك الرحا، بثفالها ** وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم ** كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها ** قرى بالعراق من قفيز ودرهم[viii]

وكان في مدحه قصدٌ واعتدال إذ لم يكن فيه غلوّ ولا كذب، فبيّن للممدوحين نتائج العمل الصالح من عظمة واحترام، وتطرق إلى الصلح فبيّن أنه سبيل الهناءة في العيش إذا كان صادرا من صدق الطويّة وحسن النية، وأخيرا اختتم بطائفة من حكمه التي سارت مسير الشمس ليزيد مَن مدحه ومَن أسدى إليه النصح ثباتا وعقيدة، كأنه سنّ دستورا للحياة صبّ فيه عصارة معارفه وخلاصة خبرته وتجاربه.

اللطائف الصرفية في القصيدة

مما ينبغي أن يُلفت إليه النظر في الدراسة الصرفية مراعات الخصائص بين أبنية المفردات التي يستخدمها الشاعر، غالبا ما تأتي هذه المفردات من الكلمات المجردة أو المزيدة ومن هنا تلزم مراعاة العلاقة بين اللفظ ومعناه التي تنبثق منها قضية زيادة المبنى لزيادة المعنى، وقد أشار إليها كثير من علماء اللغة، قال ابن الأثير: "اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن أكثر منه فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا، لأن الألفاظ أدلة على المعاني وأمثلة للإبانة عنها فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني"[ix] وهذه الخصائص والفروق الكائنة بين المفردات من أهم ما يدرسه علم الصرف، ومن هذا المنطلق يلاحظ الباحثان في ميمية زهير اللطائف الصرفية الآتية:

قوله: سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما ** تبزّل ما بين العشيرة بالدم[x]

هذا البيت هو أول ما استهل به الشاعر بعد ما قدمه من الوقوف على الأطلال وآثار الديار مما يعتبر غزلا خفيفا وتخلص بهذا البيت إلى غرضه الأساسي، وإذا أنعمنا النظر في خصائص مفردات هذا البيت ندرك أن الشاعر افتتح بالفعل "سعى" وأكده باشتقاق اسم الفاعل من نفس المادة وهي مادة توحي بالسرعة والهرولة إلى الأمر والاهتمام به والإقبال إليه بكل ما في وسع الإنسان وطاقته، وهذا ما تؤكده المعاجم اللغوية قال ابن منظور: " السَّعْيُ عدْوٌ دون الشَّد، يقال: سَعَى إذا عَدَا وسَعَى إذا مَشَى وسَعَى إذا عَمِلَ وسَعَى إذا قَصَد وإذا كان بمعنى المُضِيّ عُدِّيَ بإلى وإذا كان بمعنى العَمَل عُدِّي باللام" [xi] وانطلاقا من هذه الدلالة يُلاحظ أن الشاعر يريد أن يصور لنا حالة الممدوحَين في استقبالهما الصلح بالسرعة والهرولة حقنا للدماء وهي سرعة تكاد تميط وتزيل منهما السكينة والوقار إذ من خصائص هذه المادة الدلالة على سرعة تزيل الوقار لذا قال عليه الصلاة والسلام: "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون واتوها تمشون عليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا"[xii] وهذا يبرهن على أن الممدوحَين أقبلا على الصلح في سرعة ليداركا ما كان عليه الناس من التفاني والتقاتل بينهم. ثم صور الشاعر في عجز البيت صورة مزعجة كان عليها المتقاتلون: " تبزل ما بين العشيرة بالدم" وافتتحها بالفعل المزيد "تبزل" وقد صادف باختيار صيغة "تفعّل" وكان من خصائصها الدلالة على مطاعة "فعّل" المزيد بالتضعيف الدال على التكثير في الحدث، إذ يقال: غلّقت الأبواب فتغلّقت. وكأن الشاعر يومئ بهذا الفعل إلى الحالة التي كان عليها المتقاتلون من الطرفين حيث أنهم بزّلوا دماءهم بكثرة وسفكوها هدرا فتبزلت، وحين كانت دماؤهم تسيل وتفيض وتذهب شذر مذر فإذا بالسيدَين مسرعَين لتدارك القوم فيما حلّ بهم من الكوارث المهلكة. وبهذا تجلت الصورة التي صورها الشاعر أدق تصوير إذ القوم كانوا على شفا حفرة من الهلاك فتداركهم السيدان. وقد زاد الشاعر إيضاحا لهذه الحقيقة بعد البيتين التاليين حيث قال:

تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم[xiii]

اختار الشاعر صيغة "تفاعل" الدالة على المشاركة بين الطرفين وهي أشهر معاني هذه الصيغة، وينبغي أن نشير إلى ائتلاف بينها وبين صيغة "فاعل" في إفادة المشاركة إلا أن الملامح الدلالية الدقيقة توحي بوجود فرق بسيط بينهما، حيث أن صيغة "فاعل" تدل على اقتسام الفاعلية والمفعولية لفظا والاشتراك فيهما معنى، في حين تدل صيغة "تفاعل" على المشاركة في الفاعلية لفظا، وفي الفاعلية والمفعولية معنى [xiv]. ويبدو ذلك جليا في قولك: ضاربَ زيد عمرا، وتضارب زيد وعمرو. وبناء على هذا تكاد تكون صيغة "تفاعل" أدل على المشاركة من غيرها إذ إسناد الفاعلية فيها مستوي الطرفين، ولعل هذا هو السر في اختيارها، وجاء الفعل "تداركتما" مسندا إلى ضمير يرجع إلى الممدوحين دلالة على تشاركهما مشاركة مستوية الطرفين في تدارك القوم وإنقاذهم من الحروب الطاحنة التي كادت تحيط بهم وتهلكهم عن آخرهم، ثم انتقل في عجز البيت يصور صورة مخيفة قبيحة كان عليها القوم جراء الحروب والمعارك الطاحنة وقال: "تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم" واستخدم الفعل المزيد "تفانوا" مصوغا في قالب "تفاعل" للدلالة على مشاكة مستوية الطرفين في التفاني والتقاتل حيث أن كل طرف يحاول أن يفني قرينه، وهنا يلمح من استخدام هذه الصيغة ملامح الدلالة على الطلب إضافة إلى دلالتها على المشاركة إذ يلاحظ من الفعل "تفانوا" محاولة كل طرف وطلبه أن يفني طرفا آخر. وقد أصاب الشاعر وأجاد في ذكر ما قام به السيدان من التدارك

في أوانه إذ القوم كانوا في حالة مزعجة مضطربة بلغ فيها السيل الذبى وكانوا في أمس حاجة إلى من ينقذهم من التهلكة.

واختتم الشاعر البيت بالمثل وهو مثل يضرب في التطير والتشاؤم، وهو قوله: "دقوا بينهم عطر منشم" كناية عن الموت التام؛ لأن منشم قيل اسم امرأة عطارة باعت قوماً عطراً فقتلوا جميعاً.

واستمر يقول:

فأصبحتما منها على خير موطن ** بعيدين فيها من عقوق ومأثم[xv]

يريد أن السيدين طلبا الصلح بين القبيلتين ببذل الأموال وقد ظفرا بذلك ولم يرتكبا في إتمامه عقوقا ولا إثما، والملاحظ من كلامه توظيفه اللفظة "مأثم" توظيفا صرفيا يوحي بنفي الإثم عن المدوحَين ونفيه كذلك عن ما يحيط بهما من مكان وزمان إذ اللفظة صيغت في قالب وزن "مفعل" وهو وزن يصدق على المصدر الميمي واسمي المكان والزمان، والمتبادر إلى الذهن- في قول الشاعر: " بعيدين فيها من عقوق ومأثم" -استخدام الكملة لتؤدي وظيفة المصدر، كما علّق عليه الزوزني في شرحه بقوله: "المأثم: الإثم، يقال: أثم الرجل يأثم إذا أقدم على الإثم، وآثمه إيثامًا صيره ذا إثم، وتأثَّم الرجل تأثُّمًا إذا تجنب الإثم"[xvi] هذا ولا ينافي القول بأن الشاعر موفق في حسن اختياره واستخدمه هذه اللفظة لخصائص تميزت بها من حيث الصياغة إذ تصلح لنفي الإثم عن السيدين حال عقدهما للصلح وعن نفيه عن مكانهما زمانهما وهذه حقيقة لا تنكرها طواعية اللغة العربية.

واستمرّ إلى أن قال:

عظيمين في عليا معدّ وغيرها ومن يستبح كنزا من المجد يعظم[xvii]

لعل الشاعر أضمر فعل المدح وقال: أمدح عظيمين في عليا معدّ، ولوّح بأنهما ترجمة لشرف أبناء معد بن عدنان وذلك لقيامهما خير قيام في تدارك القوم من الهلاك المدمّر، علل وبرهن بما أكسبهما المجد والشرف في القوم بقوله: "ومن يستبح كنزا من المجد يعظم" ويُلاحظ كرم المدوحَين من انتقاء الشاعر واختياره هذه اللفظة "يستبح" المصوغة في قالب "استفعل" وقد ثبت من معاني هذه الصيغة الإصابة: وهو جودك الشيء واعتقادك إياه على صفة. نحو: استحسنت كلامه أي اعتقدته ووجدته حسناً. واستكرمت محمداً، أي اعتقدت فيه الكرم، واستعذبت الماء، وجدته عذبا وعلى هذا المعنى قوله تعالى: "وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" [xviii] استضعفوني أي: وجدوني ضعيفا فهي بمعنى إلفاء الشيء بمعنى ما صيغ منه أي اعتقدوني ضعيفا[xix]. ومن هذا المنطلق أقبل الشاعر إلى الأصل "باح" الذي استعمل مزيده بالهمزة "أباح" و"مباحا" وصاغه في صيغة استفعل ليصور المدوحَين بأنهما عمدا على كنوزهما ينفقان منها أداء لدية القتلى ويتصرفان فيها تصرف من أطلق سراحه على كنوز رفع عنه التبعة والإثم في تصرفه من تلك الكنوز. وهذا بلاشك يومئ إلى كثرة ما أنفقاه حقنا للدماء وإطفاء لنار الفتنة وكأن الشاعر يريد أن يشاركه السامع فيما حمله على الإعجاب بممدوحيه، وعلى الأقل أن يعذره ولا يلومه في حبه وشدّة إعجابه بهما.

اللطائف النحوية في القصيدة:

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا بمال ومعروف من الأمر نسلم[xx]

قوله: "وقد قلتما" الواو للعطف، و"قد" حرف تحقيق، و"قلتما" فعل وفاعل، والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها معطوفة على الجملة الابتدائية: "تداركتما" في البيت الذي قبل هذا. وقوله: "إن ندرك السلم واسعا بمال...."، إن: شرطية جازمة، و"ندرك" فعل الشرط مجزوم وفاعله ضمير مستتر يقدر بـ "نحن"، و"السلم" مفعول أول للفعل "ندرك" و"واسعا" مفعوله الثاني، وقوله: "بمال ومعروف من الأمر" متعلقات بـ "ندرك"، و"نسلم" مجزوم على أنه جواب الشرط، وجملة الشرط مع جوابها في موضع نصب مقول القول (قلتما). فالشاعر عطف الجملة "قلتما" على "تداركتما" ليدل على شدة اعتناء ممدوحيه بالسلم والإصلاح بين المتقاتلين، فكأنهما لما أدركا ما أحدثه القتال بين عبس وذبيان أسرعا في القول بأنهما مستعدان للتضحية بكل ما لديهما من مال ومعروف ليستقر الأمن والسلام بين الطائفتين.

فلا تكتمن الله ما في صدوركم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم[xxi]

قوله: "فلا تكتمن الله ما في صدوركم ...." الفاء فصيحة حرف عطف مبني على الفتح، فهي تفصح عن محذوف يقدر بـ "إن حلفتم على عقد الصلح وإبرامه فلا تكتمن الله...." و"لا" ناهية، و"تكتموا" فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف النون، وحذفت الواو منه تجنبا لالتقاء الساكنين (الواو والنون) لأن أصله "تكتمُونْنَ"، والفاعل ضمير مستتر تقديره: أنتم. والنون المشددة للتوكيد لا محل لها من الإعراب. واسم الجلالة (الله) منصوب على المفعولية. و"ما" موصولية في محل نصب مفعول ثان للفعل "تكتموا". فقد آثر الشاعر الفعل المضارع المؤكد بالنون الشديدة ليدل على خطورة كتمان ما في النفس ولا سيما في الشؤون التي تتعلق بالأمن والسلم، فعلى المرء أن يبرز ما في ضميره، لأنه وإن خفي على الناس فإن مطلع عليه إذ هو العالم بالسر وأخفى. وقوله: "ومهما يكتم الله يعلم". الواو للعطف. و"مهما" اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع نائب الفاعل. يكتم: فعل مضارع مبني للمجهول، ومجزوم بـ "مهما". الله: اسم الجلالة مرفوع على أنه فاعل قدم على فعله لضرورة الشعر. يعلم: فعل مضارع مجزوم على أنه جواب الشرط "مهما" وهذا على مذهب الكوفيين الذين يجيزون تقديم الفاعل على فعله.[xxii]

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم[xxiii]

قوله: "وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم...." الواو للاستئناف، و"ما" نافية. الحرب: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. إلا: أداة حصر. ما: موصولية في محل رفع خبر المبتدأ. علمتم: فعل وفاعل، وجملة الفعل والفاعل لا محل لها من الإعراب لأنها صلة. الواو عاطفة. ذقتم: جملة معطوفة على الصلة التي قبلها لا محل لها من الإعراب. فالشاعر لجأ إلى استعمال أداتي النفي "ما" والحصر "إلا" لينبه المتقاتلين على خطورة الحرب، فيقول اعلموا أن الحرب ليست بشيء سوى ما قد عهدتموه ومارستموه وذقتم مرارته، فأنتم أعلم بمصائبه من غيركم، فما كان ينبغي لكم أن تقدموا عليها، بل أنتم الأحق بأن تدعوا إلى السلم.

الخاتمة

قد أسفرت المقالة في سطورها السالفة عن شخصية زهير بن أبي سلمى وهي شخصية تقدر الأمن والسلم حق التقدير حيث دعا إليه في مجتمع يحفل بالأشرار والدعاة إلى الحرب الذين كان همهم تأجيج نار الفتنة والشحناء بين الطوائف وأشعار كثير منهم تدوي بفكرة الحثّ على الأخذ بالثأر والترامي على الحروب، وهو بحق يعتبر داعية من دعاة السلام والأمن إذ جمع في قصيدته خلاصة آرائه وتجاربه في الحياة ، وسنّ فيها دستورا صبّ فيه عصارة معارفه وخلاصة خبرته وتجاربه، مادحا فيها المصلحَين هرم بن سنان والحرث بن عوف لتحملهما ديات القتلى حقنا لدماء المتقاتلين بين القبيلتين. ثم تطرقت إلى التحليل الصرفي والنحوي كشفا وتوضيحا لرسالة نص القصيدة ليدرك القاريء مدى ميل الشاعر إلى الأمن والسلم وينفعل بانفعالاته. وقد توصلت المقالة بعد هذه الجولات إلى نتائج آتية:

- إن زهير بن أبي سلمى يعتبر من دعاة الأمن والسلم حيث دعا إلى الصلح بين عبس وذبيان وأشاد بصنيع هرم بن سنان والحرث بن عوف العاقدَين للصلح.
- لا يخلو عصر من العصور مهما سيطرت فيها الفوضى ممن يأخذ بيد سديد الرأي الذي يمشي على النهج القويم، كما يأخذ على يد الغوي المنحرف عن الجادة.
- الوقوف على قواعد علوم اللغة العربية ولا سيما علمي النحو والصرف ضروري لإدراك رسالة النصوص العربية إدراكا سليما من الإنحراف كيلا يقع القارئ في سوء فهم فيَضل ويُضل غيره. حتى لا ينخرط في سلك الدعاة المتسرعين إلى تأويل نصوص الجهاد متغافلين عن النصوص الدالة على السلم والألفة والوئام.

الهوامش والمصادر

[i] البغدادي، عبد القادر بن عمر، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق محمد نبيل وشريكه، دار الكتب العلمية بيروت، 1998م ج2ص293

[ii] الزوزني، الحسين بن أحمد بن الحسين، **شرح المعلقات السبع** ط1 دار احياء التراث العربي، 1423هـ 2002 م ص 237

[iii] أبو حامد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، 156/20

[iv] أبو حامد، المرجع نفسه 157/20

[v] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، **الإعجازوالإيجاز**، ط3 دار الغصون، بيروت لبنان 1405هـ 1985م ص138

[vi] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر**، تحقيق علي محمد البجاوي وشريكه، المكتبة العصرية، 1406هـ-1986م بيوت 342/1

[vii] البغدادي، خزانة الأدب، مرجع سابق، 293/2

[viii] زهير بن أبي سلمى، **ديوان زهير**، شرح وتقديم الأستاذ علي حسن فاعور، ط1 دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1408هـ 1988م ص107

[ix] ابن الأثير، ضياء الدين، **المثل السائرفي أدب الكاتب والشاعر**، المكتبة الشاملة الإصدار الثاني ج2ص197

[x] ديوان زهير، المرجع السابق، ص 105

[xi] ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ط1 دار صادر بيروت لبنان، مادة سعى 384/14

[xii] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، **صحيح البخاري**، تحقيق محمد زهير بن ناصر ط1 دار طوق النجاة، 1422هـ 8/2

[xiii] ديوان زهير، المرجع السابق، ص105

[xiv] أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي، **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، تحقيق محمد عثمان، ط1 دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 2011م 172/1

[xv] ديوان زهير، المرجع السابق، ص106

[xvi] الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص 340

[xvii] ديوان زهير، المرجع السابق، ص106

[xviii] الأعراف: ١٥٠

[xix] أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان: تفسير **البحر المحيط**، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وشريكه، ط1 دار الكتب العلمية بيروت-لبنان 1422هـ2001م. ج5 ص458

[xx] ديوان زهير المرجع السابق، ص106

[xxi] ديوان زهير المرجع نفسه، ص108

[xxii] - ابن عقيل، عبد الله: **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، 1985م، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج1، ص:77

[xxiii] ديوان زهير المرجع السابق، ص107